«لا تضطرب قلوبكم»

(١٤: ١-٣١)

تأليف: بروس مكلارتي

يحتاج الجميع إلى تعزية. لقد قام الإرسالي أوتيس قيتوود وزوجته أيرين بزيارتنا قبل بضع سنوات وامضيا معنا عدة أيام. وكانت برفقتهما سيدة ألمانية لا تجيد اللغة الإنجليزية. عندما أريناها الغرفة التي كانت ستنام فيها، طلبت منا أن نفتح النافذة. كان ذلك طلباً غير عادياً في ذلك الوقت من السنة حيث ان الجو بارداً، ولكننا بالطبع فعلنا ما أرادت. وفي اليوم التالي حكى لي أوتيس وزوجته عن السبب في طلبها الغريب ذلك: كان الجيش الروسي والألماني قد اشتبكا في معركة شرسة في ألمانيا خلال الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وكانت تلك المعركة قريبة من المنطقة التي تقطن بها هذه السيدة. تبادل الجيشان قاذائف المدافع لمدة تزيد عن الشهر، وكانت تلك القذائف تمر فوق البيت الذي كانت تخبيء فيه هذه السيدة في الدور التحتاني حيث لا توجد النوافذ، ترضع طفلها المولد حديثاً. كان ذلك الوقت رهيباً وكادت الأم وطفلها ان يموتا جوعاً. وأخيراً انتهت المعركة، واستطاعت المرأة أن تنجو من مخبأها تحت الأرض. ومنذ ذلك اليوم تكره ان تكون محبوسة في غرفة مظلمة مكتومة وبلا نوافذ! لقد قضت شهراً عسيراً تعزي طفلها، والآن تحتاج هي الأخرى إلى تعزية. نحن جميعنا نحتاج إلى التعزية.

تبدأ رسالة يسوع إلى تلاميذه في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا بكلمات معزية «لا تضطرب قلوبكم» (آية ١). كان التلاميذ محتاجين إلى هذه الرسالة بعد الأحداث والتنبوءات التي وردت في الأصحاح الثالث عشر. لقد خرج يهوذا ليخون يسوع، وكان بطرس سينكر يسوع في تلك الليلة نفسها، وموته على الصليب يقترب بسرعة. من وجهة نظر الإنسان كان كل شيء «يتفكك». بالقرب من نهاية الأصحاح الرابع عشر كرر يسوع هذه الكلمات: «لا تضطرب قلوبكم» مضيفاً إليها: «ولا ترهب» (آية ٢٧). تحتوي الآيات التي بين هاتين الآيتين على تعاليم يسوع عندما واجه هو وتلاميذه معاً أوقات عسيرة. وقد ساعدت هذه التعاليم الرسل ليمضوا قدماً في «رحلة إيمانهم»، وتساعدنا أيضاً في رحلتنا اليوم.

استخدام يسوع لكلمة «يضطرب» بمثل هذه الكيفية المريحة جدير بالملاحظة. الكلمة «اضطرب» تصف يسوع في ثلاثة أماكن أخرى من إنجيل يوحنا:

> فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج واضطرب (١١: ٣٣).
>
> الآن نفسي قد اضطربت وما أقول؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة؟ ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة (١٢: ٢٧).
>
> لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني (١٣: ٢١).

الاضطراب هو استجابة طبيعية ومتوقعة في حالات الضيق. نضطرب عندما لا تسير أمور

حياتنا على ما يرام. ولو كان هناك وقتاً يجب ان نضطرب فيه لكان ذلك هو اليوم الذي صلب فيه يسوع. كان يسوع قد أعد تلاميذه لهذا الحدث إذ طلب إليهم ان يثقوا به (١٤: ١) وترك لهم أيضاً مصادر خاصة.

منزل للتفكير به (١٤: ٢ و٣)

بعد ما قال يسوع هذه الكلمات بوقت قصير اختطفه الجنود الذين أُرْسلوا ليلقوا عليه القبض من بين تلاميذه (٨: ١-١٢). وعندما حدث ذلك تُرِك التلاميذ وحدهم. لا بد انهم انزعجوا جداً بسبب ما حدث. من إحدى مخاوفنا منذ الطفولة هو ان نُتْرَك او يتم التخلي عنا. والغريب في الأمر هو انه لا يبدو باننا قد تركنا هذا الخوف. حكى الدكتور جيمس دوبسون عن ضيفة خاصة في برنامجه الاذاعي بعنوان « تركيز على الأسرة Focus on the Family ». وكانت تلك الضيفة امرأة روسية قضت عدة سنوات في أحد معسكرات النازية للاعدام {التابع لهتلر} خلال الحرب العالمية الثانية. وعندما ظهرت في برنامج الدكتور دوبسون، روت كيف رأت عملية القتل الجماعي واختبرت كل أنواع الحرمان خلال تلك السنوات. وروت أيضاً كيف انتقلت بعد الحرب إلى الولايات المتحدة حيث تزوجت. وللأسف الشديد لم يكن زوجها مخلصاً لها ولم يستمر ذلك الزواج. وبينما كان الدكتور يتحدث إليها قالت له المرأة بان رفضها والتخلي عنها في الزواج كان الأكثر مرارةً من السنوات التي قضتها في معسكر الموت الألماني!

إذ كان يسوع يعلم كيف سيرتعب التلاميذ عند التخلي عنهم أعطاهم طريقة ليفكروا بها عن غيابه الذي كان وشيكاً. عوضاً عن التفكير بانه قد تخلى عنهم قال لهم ان يعتبرونه ذاهب ليعد لهم مكاناً في بيت الآب (١٤: ٢ و٣). ما أجمل التفكير عن غياب يسوع الجسدي!

إذا جعلتنا المشاكل نظن بان الله قد تخلى عنا، علينا ان نتذكر ما علم يسوع التلاميذ ان يفعلوا عندما شعروا بانه قد تخلى عنهم عند الصليب: علينا ان نتذكر بان يسوع يعد لنا مكاناً حيث نكون في يوم ما مع الله في بيته إلى الأبد!

اتجاه للتمسك به (١٤: ٤-١١)

بعد ما كلم يسوع التلاميذ بانه ذاهب ليعد لهم مكاناً، قال له توما: « يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق » (١٤: ٥). أجاب يسوع وقال: « أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بيّ» (١٤: ٦). أجاب فيلبس وهو تلميذ آخر: « يا سيد أرنا الآب وكفانا » (١٤: ٨). قال يسوع: « ... الذي رآني فقد رأى الآب ... » (١٤: ٩). بغض النظر عن ارتباكهم شدد يسوع على انه الشخص الذي يجب عليهم الانتباه إليه عند إعدادهم لمواجهة الصليب معه.

هل نريد الاقتراب من الله؟ كيف يمكن ان نأتي إليه؟ قال يسوع بانه الطريق الوحيد للحضور إلى الآب. هكذا كان الأمر في الليلة قبل الصلب وهكذا اليوم أيضاً.

يسوع وهو عالم بان تلاميذه سيرتبكون وتهن عزيمتهم عندما يتركهم، أعطاهم اتجاه ليركزوا عليه في ساعة المحنة. يجب ان يتبعوا خطواته لانه هو الدليل الوحيد الذي يمكن ان يعتمدوا عليه ليقودهم إلى الآب. واليوم تبقى رسالة يسوع لنا كما كانت. يقول ما بمضمونه: « أتبعني حتى في العاصفة، وحتى عندما لا تستطيع ان ترى شيئاً، أو حتى عندما لا تستطيع ان تفهم شيئاً، حتى عندما تتشككك كثيراً - اتبعني في الساعة المظلمة أتبعني. ستجد انك وصلت إلى الآب! »

وجوده مع تلاميذه (١٤: ١٢-١٤)

بعض القصص المفضلة بالنسبة لي هي عن الأطفال الذين يأتون إلى أبويهم عند منتصف الليل خوفاً من النوم وحدهم. كانت هناك بنت صغيرة قال لها والداها ان ترجع إلى سريرها وتنام بسلام لأن الله يحميها. وإذ لم تكن مقتنعة بكلمات التعزية هذه أجابت قائلة: « قد

يكون هذا صحيحاً، ولكني في هذه الليلة أريد من يمكن ان أراه بعينيّ! » وجاء طفل أخر إلى أبويه يقول لهما انه كان خائفاً. حاول أباه ان يقنعه بان الله موجود هناك معه في الغرفة ولا يجب ان يخاف من شيء. أراد الطفل المزيد من التوضيح، فقال لأبيه: « لماذا لا تذهب انت وتنام مع الله في غرفتي ودعني أنام مع ماما؟ »

المصدر الثالث الذي اعطاه يسوع لتلاميذه المرتبكين لكي يعزيهم كان هو استمرار وجوده في حياتهم. فقد أكد لهم بانه مهما طلبوا باسمه فانه يعطيهم وبانهم سيقومون بأعمال أعظم مما رأوه يفعلها (١٤: ١٢-١٤)! غيابه الجسدي لا يحد من قدرته ليعزيهم ويساعدهم. كان ذلك وعداً يمكن ان يثقوا به حتى في الساعات القاتمة.

معيناً آخر
(١٤: ١٦-١٨ ، ٢٥ ، ٢٦)

قال يسوع لتلاميذه في أكثر من مناسبة بانه كان «سيذهب عنهم» إلى حين (أنظر ١٣: ٣٣ و٣٦؛ ١٤: ٢). ولكنه أخبرهم أيضاً بان مغادرته عنهم لا تتركهم يتامى (١٤: ١٨). كان سيرسل لهم « معيناً » (١٤: ١٦ و٢٦)[1]. الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى « معين أو معزي » تعني « المساند ». وفي المحكمة تشير إلى المحامي الذي يتكلم نيابة عن الشخص. وفي حالات أخرى تعني كل من هو معين في وقت الحاجة. هذا كله يصف الروح القدس (١٤: ٢٦) الذي أرسله يسوع إلى اتباعه بعد ذهابه.

الروح القدس هو إله مثله مثل يسوع ويجب الإشارة إليه بضمير العاقل. هو يسكن اليوم في الكنيسة (١ كور ٣: ١٦) وفي المسيحيين أفراداً (١ كور ٦: ١٩). وهو القوة التي تغيرنا أكثر فأكثر إلى صورة المسيح (٢ كور ٣: ١٨) وينتج ثمر الله في حياتنا (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣). تتميماً لوعد يسوع لتلاميذه فان الروح القدس هو حقاً مصدر التعزية والعون في حياة شعب الله. ولأن الروح القدس معنا وبيننا وفينا، نحن لسنا يتامى روحياً حتى وإن لم يكن يسوع موجود معناً جسدياً على هذه الأرض.

سُئل جي. كي جسترون ذات مرة من قبل مراسل الأخبار، وكان الاثنان يقفان في أحد أركان شوارع لندن وقال له: « لقد علمتُ انك اصبحت مسيحياً منذ وقت قريب فهل تسمح لي ان اطرح عليك سؤالاً؟ » أجاب جسترون: « تفضل ». فسأله المراسل: « إذا ظهر المسيح المقام من الأموات فجأة في هذه اللحظة ووقف خلفك، ماذا تفعل؟ » أجاب جسترون وقال: « هو واقف خلفي الآن ».

يسوع موجود معنا اليوم في شخص الروح القدس. لم نُتْرَك وحدنا، ونحن لسنا يتامى روحياً. هذا مصدر تعزية كبير بالنسبة لنا كما كان للتلاميذ الأولين، حتى وإن كان عالمنا مضطرب.

وصية يجب العمل بها
(١٤: ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١)

مصدر آخر للتعزية أعطاه يسوع لتلاميذه كان سلسلة من الوصايا. مع اننا لا نعتبر الوصايا بانها معزية، إلا انها تجعلنا ندرك ما يتوقعه الله منا. ومعرفة هذا تعطينا الثقة.

دعى يسوع أتباعه مراراً وتكراراً في الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا ان يحفظوا وصاياه ويطيعوه. يعتقد البعض بان مثل هذه اللغة هي عكس المحبة. ولكن لم يرى يسوع قط الطاعة والمحبة بانهما مختلفان عن بعضهما الآخر. بل عوضاً عن ذلك قال: « الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني ... » (١٤: ٢١). يتم التعبير عن محبة الله بالطاعة والخضوع إليه.

كانت الطاعة بالنسبة ليسوع تعني الموت على الصليب (١٤: ٣١). أُلقيَ القبض على يسوع بعد الليلة الطويلة والشاقة المكتوب عنها في الأصحاحات من ١٣ إلى ١٩. وفي اليوم التالي

[1] الكلمة « معين » يمكن ترجمتها أيضاً إلى « معزي ».

سُمِر على الصليب من أجل خطايا العالم. وبهذا علم تلاميذه أهمية الطاعة ليس بكلامه فقط بل أيضاً بالمثال الذي أظهره. فالطاعة هي الطريقة التي نعبر بها عن محبتنا لله.

الخلاصة

استمر يسوع في حديثه وقال: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (١٤: ٢٧). يبدأ هذا الأصحاح بالقول: «لا تضطرب قلوبكم» ويختتم بوعد السلام. السلام شيء نرغب فيه جميعنا ولكن غالباً ما يصعب علينا تعريفه. عادة ما نصف السلام بعبارات سلبية، نظن بان السلام هو غياب الحرب والآلام والأوجاع والضياع. أما يسوع فوصف السلام بعبارات أكثر إيجابية، حيث قال ان السلام هو حضور الله. كيف تفكر بالسلام؟

السلام الذي يعطيه يسوع هو من النوع الذي لا يمكن ان يسرقه اللص، ولا يقتله قاتل، أو يبدده خبر غير السار. سلام المسيح هو حضور الله. سلامه يجعلنا نصير مثل «المرأة الفاضلة» الموصوفة في سفر الأمثال ٣١: ٢٥: «العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتي». يمكننا أيضاً ان نضحك أو نبتهج بالمستقبل المجهول عالمين بان الله معنا.

في الوقت الذي قال فيه يسوع كلمات التعزية هذه لتلاميذه كانوا على وشك مواجهة اضطراب وضيق بسبب موته. اليوم أنت وأنا على وشك مواجهة ... لسنا نعلم ما نحن على وشك مواجهته، أليس الأمر كذلك؟ عندما نسير في طريق الحياة المجهول لنستمر أيضاً بـ«رحلة الإيمان». وعندما نفعل هذا يمكن ان «نبتهج بالمستقبل»، عالمين بان يسوع قد أعدنا (كما أعد تلاميذه الأولون) لكل ما يأتي!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧